القسم الثاني

إجراءات البحث النوعي

القسم الأول من هذا الكتاب كان مخصصا للجوانب النظرية المتعلقة بالبحث النوعي، وهذا القسم الثاني سيكون مخصصا بشكل أكبر للجوانب العملية، حيث سيساعد الباحث على تصميم البحث النوعي، ويبين كيف تختلف الإجراءات عن البحث الكمي، كما يزود القارئ بأساليب جمع المعلومات والبيانات وتحليلها، وأخيرا كيفية كتابة تقرير البحث. وسيكون توزيع القسم على النحو التالي:

- **الفصل الرابع: تصميم البحث النوعي**
- **الفصل الخامس: أساليب جمع المعلومات**
- **الفصل السادس: تحليل البيانات**
- **الفصل السابع: كتابة تقرير البحث**

الفصل الرابع

تصميم البحث النوعي

سوف يتطرق هذا الفصل إلى مكونات تصميم البحث النوعي. ما هي الأشياء التي يجب أن يفكر فيها الباحث النوعي قبل أن يبدأ البحث ويتخذ قرارات بشأنها، وكيف يحدد الإجراءات؟ هذا القسم سيجيب على السؤال: كيف أقوم بالبحث؟ أو ما الخطوات التي يجب أن أقوم بها لإنجاز البحث النوعي؟ ثم سيعرض شرحا لكتابة مقترح البحث أو خطته. والهدف من هذا الفصل أن يكون موجها للباحث النوعي أو طالب الدراسات العليا في تصميم بحثه.

تصميم البحث هو الطريقة التي سينبني بها البحث أو الطريقة التي سيسير بها ويكتمل شيئا فشيئا. وقد يعني خطة الباحث التي سيسير عليها في بحثه (Bogdan and Biklen, 1998). فهي مجموعة من القرارات التي يتخذها الباحث للقيام ببحثه قبل البدء في البحث ويعتزم السير عليها. فهي تحول الافتراضات والنوايا العامة إلى إجراءات مفصلة. وفي البحث الكمي تتم عملية تصميم البحث في مرحلة التخطيط، لكنها في البحث النوعي لا تكون منفصلة أو خاصة بمرحلة معينة، بل تستمر عملية التصميم أثناء عملية البحث (Bogdan and Biklen, 1998). وهدف البحث هو المحدد الأساس لتصميم البحث النوعي، فالخطوة الأولى تحديد الهدف (Patton,2002, p. 213). فالقرارات التي يتخذها الباحث قابلة للتغيير بحسب ظروف البحث بما يخدم هدف البحث.

مرونة التصميم

من الأشياء التي تواجه الباحث مبكرا في عملية التصميم إشكالية الموافقة بين التنظيم والمرونة. فمن الأمور المتعارف عليها، بل من البدهيات، في البحث الكمي أن لا يبدأ الباحث إلا وقد رصد بالتفصيل ما سيقوم به وسجله في خطة بحثه. لكن في البحث النوعي من المقبول أن يبدأ الباحث دون أن يكون لديه تصميم مفصل واضح لخطوات البحث وإجراءاته. وذلك لأن تصميم البحث النوعي " لا يمكن أن يحدد مقدما بشكل مفصل، بل لا بد أن يظهر شيئا فشيئا وينمو ويتفتح " مع مرور الوقت وتقدم الباحث في بحثه (Lincoln & Guba, 1985, p. 225) ، بل يؤكد لنكن وجوبا (Lincoln & Guba, 1985, p. 187) على هذا الأمر، إذ يقولان "إن البحث الطبيعي يستحيل تقريبا أن يصمم بشكل واضح قبل القيام بالدراسة". ويقول بوجدان و بيكلن (Bogdan and Biklen, 1998, p. 50) بأن الباحث يمكن أن يدخل ببعض الأفكار عما سيفعل لكن لا يكوّن مجموعة من الإجراءات المفصلة قبل جمع المعلومات".

بل إن سلفرمان(Silverman, 2005) يرى أن منطقة تركيز البحث قد يغيرها ما يبدو أثناء التحليل من مستجدات، ويحذر من أن التقيد بشكل صارم بالتصميم الذي ابتدأ به الباحث قد يقود إلى تحليل غير مناسب للبيانات، وقد يكون فيه كثير من الاختزال أو التعسف. وهذه نقطة اختلاف جوهرية في إجراءات البحث بين البحث الكمي والبحث النوعي. والسبب في ذلك أن الباحث النوعي لا يبدأ ـ كما في البحث الكمي ـ من فرضية مستقرة لديه، ويحدد ماذا سيعمل بها. بل يبدأ بشكل معاكس، يبدأ ببيانات عامة يجمعها من موقع البحث لمشكلة عامة، بقصد الفهم والبحث عن المعنى. فنهاية البحث النوعي، على عكس الكمي، مفتوحة. وهذه البيانات وموقع البحث هي التي تحدد بالتفصيل ما يمكن أن يقوم به الباحث وكيف. وهذا قد لا يسبب مشكلة

عند الباحث النوعي الخبير، بل قد يكون هو المتعين، فبعض الخبراء في البحث النوعي (Shank & Villella, 2004) يدعو صراحة إلى أن لا يتقيد الباحث الخبير بالتصميم بل ينطلق في ميدان البحث ويركز ملاحظاته ويخرج ببيانات جيدة وعميقة، وإذا واجه مشكلة يتوجه إلى طريق آخر. لكن الباحث الجديد قد يسبب له ذلك نوعا من الارتباك، ولذلك يرى هاتش، من باب الاحتراز، أن الباحث غير الخبير يجب أن يبدأ بخطة مفصلة لبحثه بقدر الإمكان (Hatch, 2002).

وما ذكر من إمكانية التغيير في منطقة تركيز البحث أو إجراءاته لا يعني أن البحث النوعي ليس له تصميم، بل المقصود أن تصميم البحث النوعي مرن، وقابل للتغيير أثناء البحث، وأن هذا من طبيعة البحث النوعي ولا يعني وجود خلل في تصميمه.

بحسب (مارشال وروسمان) يواجه الباحث النوعي ثلاثة تحديات :

الأول: بناء إطار تصوري مختصر وعميق للدراسة.

الثاني: التخطيط لتصميم منتظم وسهل التناول ومرن.

الثالث: دمج هذين الأمرين في وثيقة متماسكة ومقنعة (Marshal and Rossman, 1999).

ويرى كريسويل (Creswell, 2009) أن خطة البحث يجب أن تشمل ثلاثة أبعاد رئيسة :

١- الرؤية الفلسفية النظرية للباحث.

٢- بيان استراتيجية البحث (كمي/ نوعي).

٣- طريقة البحث.

ولأن البحث النوعي قد يبدو غريبا على بعض الباحثين، فمن الضروري - كما يشير مارشال وروسمان - أن يشتمل الحديث عن تصميم البحث على سبعة أمور :

١- فرضيات البحث النوعي (ومسلماته).

٢- مبرر اختيار موقع البحث أو العينة أو المشاركين.

٣- اختيار التصميم العام وطرق جمع البيانات.

٤- بيان الجهد الكبير المبذول في العمل الميداني.

٥- مراعاة الجانب الأخلاقي للبحث.

٦- احتياجات المصدر.

٧- بيان موثوقية التصميم (Marshal and Rossman,1999).

قرارات عملية البحث

تسير عملية تصميم البحث النوعي عادة حسب المراحل التالية:

١- اختيار الموضوع.

٢- بناء الإطار النظري.

٣- صياغة السؤال.

٤- وصف السياق وتحديد العينة.

٥- تحديد أساليب جمع المعلومات.

٦- وصف علمية التحليل.

ففي كل مرحلة يتوجب على الباحث أن يتخذ قرارا رئيسا (أو قرارات فرعية) لتصميم بحثه. ولذلك سوف ننظر إليها فيما سيأتي على أنها مجموعة من القرارات التي على البحث أن يتخذها بعد تفكير في معطيات بحثه. وما سيأتي من تصميم لا يعني أنه هو المتعين، أو أن على كل باحث اتباعه، لكن هو ما يسير عليه عادة كثير من الباحثين. لكن قد يكون من الباحثين من يميل إلى الدقة في تحديد كل إجراء.

القرار الأول: اختيار الموضوع

اختيار الموضوع أو (الحالة) أو مشكلة البحث هي الخطوة الأولى في تصميم أي بحث نوعي. والباحث سواء كان باحثا محترفا أو طالب دراسات عليا، يواجه السؤال: (ماذا أبحث؟). واختيار المشكلة من المواضع الصعبة في عملية البحث (Creswell, 2009; Corbin & Strauss, 2008).

ومن حيث المبدأ يستطيع الباحث بحث أي مشكلة، أو ظاهرة تربوية أو اجتماعية، وليس هناك موضوع صحيح وموضوع خاطئ في البحث، طالما عرف الباحث طرح السؤال الصحيح والجيد واستطاع استخدام الأسلوب المناسب، فليس هناك معايير تفضيل مطلقة. واختيار موقع بحث أو حالة لا يعني أن الباحث ملزم بالارتباط بها إلى الأبد. بل، كما يقول بوجدان وبيكلن (Bogdan and Biklen, 1998)، على الباحث المبتدئ في البحث النوعي أن يعد بحثه الأول من باب (التعلم من خلال الممارسة)؛ إذ إن إتقان البحث النوعي لا يمكن أن يحدث إلا من خلال الممارسة.

والمدرسة بما فيها من عوامل متداخلة وعلاقات متنوعة غنية بالظواهر والمشكلات التربوية التي تستحق البحث، وتحتاج إلى التعمق فيه. لكن بشكل عام على الباحث أن يكون عمليا ويختار بحثا مناسبا من حيث الحجم والتعقيد، ويمكن إنجازه في وقت معقول ومناسب للباحث. كما على الباحث المبتدئ أن يراعي أنه غير خبير فلا يتسرع في اتخاذ قرارات أو في الوصول إلى نتائج، فالبحث النوعي يحتاج إلى وقت طويل في جمع المعلومات وتحليلها.

وهناك أمران رئيسان متعلقان بتحديد موضوع البحث أو مشكلته: الأول: كيف أحدد موضوع بحث أرغب في دراسته؟ الثاني: كيف أضيق نطاق الموضوع بحيث تصبح مشروعا بحثيا ممكن الإنجاز؟ (Corbin & Strauss, 2008). ومما يجب التنبه له عند

اختيار موضوع البحث في البحث النوعي أن يكون الباحث راغبا في دراسة الموضوع ومتحمسا له، فإن البحث النوعي يتطلب العمق في البحث والاقتراب من معاني الظواهر وجوهرها والتوسع في بحثها والكتابة عنها، وفي كل ذلك البحث هو الأداة الأساسية لجمع المعلومات، والعامل الأساس في تحليلها، وهو ما قد يكون صعبا ومملا ومرهقا للباحث إذا لم تتوفر لديه رغبة كافية لدراسة الموضوع.

ويوصي بوجدان وبيكلن (Bogdan & Biklin, 1998, p. 51) الباحث المبتدئ في مجال البحث النوعي بأن يكون عمليا في اختيار الموضوع بحيث يتجنب الموضوعات المعقدة والمتشابكة، كما أن على الباحث المبتدئ أن يبحث في موضوع خارج بيئة عمله كالمدرسة التي يعمل فيها، بل يبحث عن مدرسة أخرى، لأن إلفه للمدرسة قد يجعل من الصعب عليه الانفصال عن الظاهرة التي يدرسها. كما يجب على الباحث أن يكون مرنا لتغيير موضوع البحث أو مكانه وأن يسعى كذلك ليبحث موضوعا يجلب اهتمامه حتى لا يفقد الرغبة فيه بعد البدء.

ويلاحظ أن كثيرا من كتب البحث النوعي تدخل الحديث عن (مشكلة البحث) ضمن الحديث عن موضوع البحث، وكأن بينهما تداخلا.

ومشكلة الدراسة هي قضية أو أمر غير متيقن أو تحوم حوله الشكوك أو تعتريه صعوبة ما نظريا أو واقعيا، فالمشكلة موقف محير يثير أسئلة في ذهن الباحث، لا يجد فيما لديه من معطيات وبيانات إجابة عليها، مما يجعل القناعة غير ثابتة لديه. وعادة ما تنتهي صياغة المشكلة بعبارة " وتهدف هذه الدراسة (أو الهدف من هذه الدراسة) ...." ويكون هدف الدراسة عبارة عن إعادة صياغة للفجوة في القاعدة المعرفية المتعلقة بموضوع الدراسة، ولم تتعرض لها الدراسات السابقة أو لم تعالجها بشكل يقنع الباحث (Meriam, 2009). وبحسب مريام فمشكلة البحث تأتي عادة في نهاية قسم (مشكلة البحث) أو (خلفية المشكلة) وعادة ما يكون ذلك القسم من خمس إلى عشر صفحات، وفيه يتم تقديم الموضوع للقارئ من خلال ما هو موجود من الأدبيات ومن

خلال عرض المفاهيم الأساسية، بحيث يصل الباحث بالقارئ إلى حيث يريد الباحث، أي إلى تساؤل الدراسة. ومشكلة الدراسة عبارة عن تلخيص لهذا القسم، وتكون عادة من نصف صفحة إلى صفحتين. وفي البحوث المحكمة التي تنشر في المجلات العلمية يتم دمج "عبارة" المشكلة والمقدمة للمشكلة وفي بعض الأحيان مراجعة الأدبيات، ومع ذلك فلا بد من إبراز مشكلة الدراسة (Meriam, 2009). وهذا الدمج قد لا يكون محررو المجلات العربية ومحكموها معتادين عليه، فقد يسبب إشكالا للباحث.

والنموذج التالي يساعد على صياغة مشكلة الدراسة:

في مجالك، ما الموضوعات التي تهمك، والتي يمكن أن تجري فيها دراسة؟
ما أهم الأشياء التي نعرفها عن هذا الموضوع أو المشكلة من خلال الأدبيات والدراسات السابقة؟
بعد مسح الأدبيات، ما الأشياء التي "لا" نعرفها عن الموضوع؟ أو ما هي المعلومات غير المتوفرة التي دعت الباحث للتساؤل أو الحيرة؟ (هذه "الفجوة" بعد تحديدها هي مشكلة الدراسة).
خذ هذه الفجوة في معرفتنا وصغ منها (سؤال الدراسة). بالعبارة التالية:
تهدف هذه الدراسة إلى .....
ما الأسئلة المحددة أو الأكثر تفصيلا التي تجعلك تتوسع في تحقيق هدف الدراسة؟
١. ٢. ٣.

بتصرف من (Meriam, 2009).

القرار الثاني: بناء الإطار النظري

عند البدء في البحث لا بد أن يقدم الباحث لبحثه بإطار نظري، فالباحث لابد أن ينطلق من رؤية نظرية، كما أن القارئ للبحث يحتاج إلى أن يشارك الباحث في الإطار العام لبحثه، وذلك لمعرفة موضوع البحث ولمعرفة المنطلق التصوري الذي انطلق منه الباحث عند توجهه لبحث ذلك الموضوع.

ووضع الإطار النظري للبحث النوعي يحتاج إلى مزيد جهد من الباحث لعدد من الأسباب، التي لا بد أن يتنبه لها، أجملها في الآتي:

١- هناك عدم ثقة في البحث النوعي، ونوع من التوجس تجاه نتائجه، وربما شك في جدية إجراءاته لدى كثير من الباحثين الأكاديميين، فالاهتمام بالإطار النظري والتعمق فيه سبيل لبيان جدية الباحث وعمق البحث.

٢- هناك بالإضافة إلى ذلك عدم إلمام من قبل كثير من الأكاديميين بتفاصيل المنهج النوعي في البحث، خاصة من كان منهم لديه قناعة كاملة بالبحث الكمي وخبرة فيه.

٣- قد يلتبس البحث النوعي بالبحث الوصفي في المنهج الكمي الذي ينطلق من التصور الوضعي، مما قد يشكل على غير الملمين بالبحث النوعي من الأكاديميين. والواقع أن بينهما اختلافا أساسيا من حيث اعتماد البحث الوصفي على الأرقام والتكرارات بالدرجة الأولى، وعدها المعيار الأساس في النتائج. (وقد تم توضيح ذلك في فصل سابق).

وترى ميريام (Meriam, 2009) أن الإطار النظري (ويسمى أحيانا الإطار المفاهيمي) غامض المعنى لدى كثير من الباحثين (خاصة الجدد)، وقد يسبب لهم هذا الغموض إحباطا أو نفرة من البحث النوعي، وغالبا ما يكون عدم وضوح الإطار النظري أو ضعف الأفكار التي فيه سببا لرفض مقترح البحث أو خطته.

والإطار النظري هو الهيكل الأساسي المعرفي الذي يدعم البحث، فهو منظومة المفاهيم والافتراضات والتوقعات والقناعات والنظريات التي تدعم وتوضح البحث (Maxwell, 2005). (عن Meriam, 2009)

وفي سبيل بناء هذا الإطار النظري، عند تصميم البحث النوعي، لا بد من بيان نوعين من النظرية (Bogdam & Beklin, 1998, p. 51):

- النظرية المنهجية methodological.
- والنظرية الموضوعية substantive.

فبيان النظرية المنهجية يضع البحث المقترح في منظور البحث paradigm، ويحدد نوعية الدراسة التي يخطط لها، فهي عبارة عن الإجابة الرسمية التي يقدمها الباحث للسؤالين الإنتولوجي والإبستمولوجي، بمعنى أن يحدد الباحث منطلقاته فيما يخص نظرته للحقيقة وطبيعتها، وكيف يتم التوصل لها، وما طبيعة العلاقة بينها وبين الباحث. وبيان هذا المنظور يجبر الباحث على النظر عن قرب لفرضياته حول حقيقة تنظيم العالم من حوله، وكيف يمكن أن نكتسب المعرفة عنه. وهذا يشجع الباحث على بناء أساس يقوم عليه تصميم الدراسة. وعادة لا تخرج هذه النظرية عن الرؤى الفلسفية التي سبق ذكرها في الفصل الأول أو مزيج من بعضها.

الخطوة الثانية هي أن يقرر الباحث نوع البحث النوعي الذي يريده الباحث ضمن ذلك المنظور. ولضمان أن يكون تصميم البحث جيدا لا بد أن يختار الباحث التصور الذي يتناسب مع معتقداته عن الحقيقة (Mills et al. 2004)، بحيث يختار التصميم أو نوع البحث الذي يتوافق مع هذا التصور ويمكن من خلاله الوصول لأهداف البحث.

النظرية الثانية، النظرية الموضوعية، وهي النظرية التي تستخدم لوصف وشرح الظاهرة المراد بحثها، فهي النظرية المتعلقة بموضوع البحث، وليس بالأسس النظرية التي يقوم عليها مجمل البحث. وذلك لوضع عمل الباحث ضمن إطار نظري علمي معروف ومفهوم من قبل علماء حقل الدراسة. وقد يشتمل هذا التوضيح على الربط بنظرية واحدة شاملة أو نظريات متعددة. لكن من المهم وضع الدراسة في مكان ملائم من النظريات التي وجدت في المجال البحثي للدراسة. فيتم تسكين الدراسة ضمن سياقها المناسب في حقل المعرفة، وربطها بالصورة المعرفية الكلية في مجالها، فالنظرية الموضوعية، هي النظرية التي يكونها الباحث (أو التي تكونت) من خلال البحوث الأخرى حول الموضوع. وهي تساعد الباحث مهما كانت قناعته على أن يحدد ماذا يريد أن يفعل، وتساعده على بيان ذلك لقراء بحثه، وهي مهمة في مرحلة التصميم ومرحلة التطبيق. ومع أن هاتش (Hatch, 2002) يرى أهمية النظرية الموضوعية إلا أنه يرى أن ذلك لا يلغي إمكانية البحث عن بدائل نظرية إذا بدا للباحث ما يبرر ذلك أثناء عملية البحث، كأن يلحظ جزئية في البيانات أو من خلال الملاحظة، فيريد أن يستكشف ذلك المجال، فلا بد من الاطلاع على إطار نظري غير الذي بدأ به. فالنظرية الموضوعية يجب أن لا تقيد الباحث النوعي، ولكن تنير له الطريق وتمنحه مزيدا من التبصر وعددا أكبر من الخيارات.

وهذا النوع من النظرية سبَّب اختلافا بين الباحثين النوعيين، فمنهم من يرى القيام بمراجعة مكثفة لأدبيات موضوع الدراسة وفهم متعمق للنظرية المرتبطة بها قبل البدء بالدراسة. ومنهم (خاصة أنصار النظرية المؤسسة والتوجه البنائي في البحث النوعي) من يرى أن بناء النظرية هو هدف الدراسة، ويجب أن يؤخر بحث النظرية الموجودة في البحوث السابقة إلى مراحل متأخرة من الدراسة.

وتختلف طريقة استخدام الأدبيات السابقة في البحث النوعي بشكل كبير (تتنوع بشكل كبير). فعادة في الدراسات التي توجهها النظرية مثل الإثنوجرافي تقدم النظرية حول المفاهيم الثقافية الموجودة في الأدبيات في أول تقرير البحث أو في خطة الرسالة، على أنها نظرية موجهة، بينما في النظرية المؤسسة ودراسة الحالة والبحث الظاهراتي يقل استخدام الأدبيات للتمهيد للدراسة (Creswell, 2009).

ومع أن الإغراق في الاطلاع على النظريات الموجودة قد يؤثر على تحليل الباحث واستنتاجاته، إلا أن الدخول للبحث دون أساس نظري قد يؤثر سلبا على البحث. فبدلا من أن يرى الباحث ما يتوقعه (وهو أمر غير مرغوب في البحث النوعي) قد ينتهي به الأمر لعدم رؤية شيء البتة، أو أن يصدم برؤية كل شيء. فتعديل أو رفض توجه نظري ـ كما يقول هاتش ـ أسهل من بناء توجه جديد. فالتوسط في هذا المجال مطلوب، لكن دائما تختلف أنواع البحث النوعي في هذا التوسط، فمن يعمل النظرية المؤسسة يحتاج إلى نظرية موضوعية أقل في البداية ممن يعمل دراسة تاريخية نقدية.

وينبغي أن يُلاحظ أن جودة النظرية الموضوعية ليست ضمانا لجودة النظرية المنهجية، فهذه مهمة الباحث التي تحكمها خبرته بأن يختار طريقة البحث التي تناسب نظريته الموضوعية.

ويرى دينزن (Denzin, 1985) أن فائدة طرائق البحث قليلة حتى ترى في ضوء منظور نظري theoretical perspective كما أن التخصص الموضوعي (المادة العلمية) substantive specialty قليلة الفائدة حتى تضمَّن بشكل محكم في إطار نظري وتؤسس على إستراتيجيات بحث صحيحة. (عن Hatch, 2002).

إذن فالنظرية المنهجية تضع الخطوط العريضة للمنهجية البحثية التي سيسير عليها البحث وينطلق منها الباحث في بحثه، وتوضحها. والنظرية الموضوعية هي

الأسس العلمية المتعلقة بالموضوع المبحوث التي ينطلق منها الباحث لكنها لا تقيده ولا تقيد الهدف من بحثه، إنما تضيء له الطريق وتوجهه وجهة عامة.

وترى مريام (Meriam,2009) أن الإطار النظري يتأثر بعاملين أساسيين الأول التخصص العلمي للباحث، فلكل تخصص مفاهيمه الخاصة ورؤيته وأهدافه الخاصة، فعندما ينظر التربوي لصف دراسي فهو يهتم بالمنهج وطرق التدريس، بينما سيهتم المتخصص في علم النفس بأشياء مثل الثقة بالنفس لدى الطلاب والدافعية واتجاهات الطلاب، في حين أن عالم الاجتماع سيركز على التفاعل الاجتماعي والعلاقات بين أفراد الصف. والثاني الأدبيات والدراسات السابقة التي يطلع عليها، فهي ستحدد بدرجة كبيرة الوجهة التي سيختارها الباحث في تعاطيه مع دراسته. كما أن أي مشكلة بحثية يمكن مقاربتها بطرق مختلفة اعتمادا على الإطار النظري الذي يتبناه الباحث.

القرار الثالث: أسئلة البحث

بعد أن يضع الباحث إطارا نظريا لبحثه، ويحدد التصور الذي ينطلق منه لاستكشاف موضوعه. يكون جاهزا لصياغة أسئلة البحث، بشكل واضح. وسؤال البحث مهم جدا، إذ قد يكون هو الفارق بين البحث الكمي والبحث النوعي. والبحث النوعي يبدأ عادة بسؤال واسع وبمفهومات غير محددة سلفا (Corbin & Strauss, 2008). فالخطوة الأولى في البحث النوعي هي (طرح السؤال) حول شيء محير.

ويشير هاتش (Hatch, 2002) إلى أن السؤال يجب أن يحدد بعد أن يكون الباحث قد حدد النظرية المنهجية والنظرية الموضوعية. وتحديد السؤال قبل ذلك قد يوقع الباحث في إشكالية اختيار سؤال لا يتناسب مع الفرضيات أو المسلمات التي يسير عليها، وبالتالي لا يمكن أن يصل إلى إجابة له. فأسئلة البحث تنبع - بشكل منطقي - من النظرية المنهجية التي يتبناها الباحث، وتتماشى مع النظرية الموضوعية التي لديه.

فعندما يدخل الباحث (خاصة الجديد) ميدان البحث يصدم بالكم الهائل من المعلومات، التي يصعب إن لم يكن مستحيلا، التعامل معها. لكن الرجوع إلى أسئلة البحث يضع إطارا حول ما يمكن التعامل معه من هذه المعلومات. وكمية المعلومات في البحث النوعي عادة تكون هائلة ومتفرعة وبأشكال متنوعة، فأسئلة البحث تعطي نوعا من التنظيم لعملية التحليل غير المنظمة. كما أن أسئلة البحث تفيد بعد ذلك في مساعدة الباحث في تحديد متى يجب أن يتوقف، فالبحث النوعي يمكن أن يستمر طويلا، لكن وجود أسئلة واطمئنان الباحث إلى أنه قد توصل لإجابة لتلك الأسئلة يعطيه المبرر لأن يتوقف في عملية البحث.

وخلال عملية البحث يمكن أن يتم تعديل الأسئلة أو حتى تغييرها، وهذا جزء من عملية الظهور والنمو اللازمة للبحث النوعي، والتي تعد من خصائصه. و"من غير المعتاد أن لا تتغير الأسئلة خلال مشروع البحث النوعي" لكن لا بد من وجود تلك الأسئلة قبل البحث لتعطي البحث تركيزه وتحدد اتجاهه.

ويؤكد هاتش (Hatch, 2002) على أن تحديد السؤال ليس أمر سهلا؛ لأن سؤال البحث النوعي ليس سطحيا أو منحصرا في جزئية معينة كما في البحث الكمي، بل أسئلة البحث النوعي تحتاج إلى أن تكون عميقة وشاملة لجوانب متعددة من الظاهرة المدروسة بدرجة تسمح بتكوين المعنى الذي كان سببا في بدء البحث. وبعبارة أخرى فإن السؤال في البحث النوعي يجب أن يكون مفتوح النهاية.

فالباحث الذي يبحث عن حقائق محددة وقوانين قابلة للتعميم قد يطرح أسئلة لا يمكن إيجاد الإجابة عليها من خلال البحث النوعي. بل قد يكون هذا النوع من الأسئلة أقرب للبحث الكمي. ولكي يكون السؤال جيدا ويحقق أغراض البحث يجب أن يرتبط بهدف البحث ويتناسق معه. والجدول رقم (٧) يبين العلاقة بين سؤال البحث والهدف الذي يسعى له الباحث.

جدول رقم (٧). العلاقة بين هدف البحث وسؤاله.

هدف البحث	سؤال البحث العام
استكشافي لفحص ظاهرة لم تفهم من قبل لتحديد أو اكتشاف فئات مهمة لمعنى ما لتوليد فرضيات لمزيد من البحث	ما الذي يحدث في هذا البرنامج؟ ما هي الموضوعات المحورية المهمة أو أنساق أو فئات المعنى للمشاركين؟ كيف تترابط تلك الأنساق فيما بينها؟
توضيحي لتوضيح الأنساق المرتبطة بالظاهرة قيد البحث لتحديد العلاقات الممكنة التي تشكل الظاهرة	ما الأحداث والمعتقدات والاتجاهات [القناعات] والسياسات التي تشكل هذه الظاهرة؟
وصفي لتوثيق ووصف الظاهرة المرغوب بحثها	ما الأحداث والأفعال والقناعات والعقائد والبنى الاجتماعية والعمليات والإجراءات التي تحدث في هذه الظاهرة؟
تحريرية [تنويرية] لإيجاد الفرص والرغبة للاشتراك في العمل الاجتماعي	كيف يرى المشاركون أوضاعهم على أنها مشكلة ويقومون بعمل اجتماعي إيجابي؟

المصدر: (Marshall & Rossman, 1999, p. 33)

أنواع الأسئلة

يقسم مارشال وروسمان أسئلة البحث النوعي إلى ثلاثة أنواع:

١- أسئلة نظرية، يمكن دراستها في مواقع وعينات مختلفة

ومثال ذلك: كيف يؤثر النشاط المسرحي على الاستعداد القرائي؟ ومن خلال أي عمليات عقلية أو عاطفية؟ وهل الأطفال الذين يأخذون أدوارا معينة - مثل الأدوار القيادية - يتعلمون أسرع؟ وإذا كان، فما الذي يحدث الاختلاف؟

٢- أسئلة مركزة على مجتمع دراسة محدد أو طبقة أو أفراد محددين، ويمكن دراستها في مواقع متعددة.

مثال ذلك: ما الذي يحدث لرواد التغيير من المعلمين خلال حياتهم الوظيفية؟ هل تغيرهم العلاقات الاجتماعية الوظيفية، أو تستبعدهم؟ وهل يشعرون بالاحتراق الداخلي مبكرا في وظيفتهم؟

٣- أسئلة خاصة بموقع، لتفرد برنامج أو مؤسسة.

مثال ذلك: كيف تختلف علاقات مجلس الآباء في مدرسة خاصة عنها في مدرسة حكومية مجاورة؟

ويميل هاتش (Hatch, 2002) إلى أن يكون هناك سؤال واحد عام، وتحته أسئلة أقل عمومية، لكن لا تقيد البحث كثيرا وإنما تحدد اتجاهه. ويضرب مثالا على ذلك في دراسة له حول برنامج صيفي لتعليم القراءة بالأسئلة الآتية :

السؤال العام: ما طبيعة تعليمات القراءة في برنامج القراءة العلاجي الصيفي؟

الأسئلة الفرعية:

- ماذا يفعل المعلمون لمساعدة الطلاب الذين تم تحديدهم على أن لديهم صعوبات في تعلم القراءة؟
- ما أنواع الأنشطة والخبرات التي يقدمها المعلمون لأولئك الطلاب؟

فالسؤال العام حدد مقصد الدراسة الأساسي وعين حدودها المبدئية. كما أنه قابل للإجابة في تصميم الدراسة القائمة على ملاحظة المشاركة ضمن التصور البنائي.

وهذه الأسئلة مفتوحة النهاية، وقليلة ومباشرة، وهو ما يوصى به للباحث الجديد. ويشير هاتش أيضا إلى أن هذه الأسئلة خاصة بذلك البرنامج بعينه، فسؤال مثل (ما هي طبيعة تعليمات القراءة في برامج القراءة العلاجية الصيفية؟) قد يكون مضللا؛ حيث إن الباحث يدعي الحديث عن كل البرامج، وليس ذلك البرنامج الذي هو موضوع بحثه. فجزء من قوة البحث النوعي أنه يعطي وصفا وتحليلا دقيقين

وخاصين لظاهرة اجتماعية في سياق محدد، وهو هنا برنامج محدد. وتحديد هذا السياق هو هدف الخطوة التالية من عملية البحث أو ما بعد السؤال.

ويؤكد بوجدان وبيكلن (Bogdan & Beklin,1998) على ضرورة أن يكون سؤال البحث واسعا بما فيه الكفاية، فالسؤال الضيق أو المحدد صعب على الباحث النوعي؛ لأنه لا يمكنه من التعمق ولأن الأمور التي تبحث قد لا تظهر في وقت الدراسة. ومثال السؤال الضيق: (ما الأساليب التي يستخدمها معلم العلوم في حفز الطلاب؟) فهذا السؤال قد لا تتوفر مشاهدات كافية عليه في كل درس، وقد لا يعطي المعلم عنه معلومات كثيرة في المقابلة. لكن قد يوسع بحيث يكون بهذا الشكل: (ما طبيعة العلاقة بين معلم العلوم وطلابه داخل الصف؟) أو (كيف يرى الطلاب أسلوب معلم العلوم - أو المعلمين - في التعامل معهم داخل الصف؟) ونحو ذلك.

وتنبه مريام (Meriam,2009) إلى عدم الخلط بين (أسئلة الدراسة)وبين (سؤال الدراسة) أو تساؤله الرئيس الذي انعكس في مشكلة الدراسة وهدفها.

القرار الرابع: اختيار ووصف السياق

المقصود بالسياق هنا البيئة أو الوضع الذي تقع فيه الظاهرة المراد دراستها، فهي بلغة البحث الكمي مجتمع الدراسة وعينتها. فيقوم الباحث بتحديد المشاركين في عملية البحث. وهم من سيكونون مصدرا لبيانات البحث من خلال أساليب جمع المعلومات المختلفة، ويصف أوضاعهم ويبين لماذا اختارهم. وحيث إن العينة مشكلة في البحث النوعي خاصة لمن تعود على البحث الكمي، فمن المهم للباحث أن يبين كل ما يتعلق بعينته، من حيث وصفها ولمَ اختارها، وهل هي عينة نامية، بحيث يربطها بالهدف من بحثه.

نموذج من فصل (المنهجية لرسالة دكتوراه تسلك المنهج النوعي، والظاهراتي تحديدا)

Exploring English Teachers' Conceptions of Teaching and Learning in Adult Education Context. Karen Mary Magro. Doctoral Dissertation. Toronto University. (1999)

الفصل الثالث: المنهجية

نظرة عامة

يشرح هذا الفصل نموذج البحث النوعي الذي تندرج فيه هذه الدراسة، ويشمل هذا [الحديث عن] الدراسة الاستطلاعية، وتصميم البحث، والأداة، وطرق جمع المعلومات، ومعايير جمع المعلومات.

أكد فان مانين (Manen, 1997) و لنكون وجوبا (Lincon & Guba, 1989) على أن منهجية البحث يجب أن تنبع من [طبيعة] أسئلة الدراسة المراد استكشافها، بدلا من أن تحدد المنهجيةُ الأسئلة، فالمعرفة الناتجة من خلال البحث هي ناتج الأسئلة التي يطرحها الباحث والطرق التي يسلكها الباحث للإجابة على تلك الأسئلة. وفي هذه الدراسة تم استكشاف الأسئلة التالية:

١- هل تصور معلمي الكبار لعملية التعليم والتعلم يعكس افتراضات ودور المعلم وعملية التعلم الموصوفة في نظريات التعلم التحويلي؟

٢- هل يرى معلمو الكبار أنفسهم على أنهم معلمون تحويليون؟

٣- كيف يرتبط التصور عن التعليم والتعلم الذي لدى كل معلم كبار بفلسفته الشخصية عن التدريس؟

٤- كيف يمكن أن ترتبط فلسفات المعلمين لاختيارات المقررات التي يقومون بتدريسها وإستراتيجيات التعليم والتعلم المفضلة لديهم؟

ولأجل استكشاف هذه الأسئلة أحتاج لبناء منهجية تساعدني على فهم "العالم المعاش" والرؤية الإدراكية لمجموعة محددة من الأشخاص - معلمو لغة إنجليزية يعلمون الكبار. كما أنني أحتاج إلى منهجية تشرك المعلمين وتشجعهم على التأمل في سلوكهم.

نموذج رسالة دكتوراه تستخدم المنهج النوعي (الظاهراتي)

What makes a good Teacher: Are we Looking in the Right Direction for Guidance? By Lori Sanchez. (2007). Doctoral Dissertation, George Fox University.

مشكلة الدراسة

تفحصت هذه الرسالة السؤال: "في اعتقاد الطلاب ما صفات المعلم الفاعل؟" ولذا فباستخدام تصميم البحث النوعي ذي المقابلات شبه المنظمة، استخدمت هذه الدراسة الشعور الشخصي المعطى من عينة من طلاب الصف الثاني والرابع والسادس حول صفات المعلم الفاعل...

أسئلة الدراسة

بشكل خاص حاولت هذه الدراسة أن تجيب على الأسئلة العامة التالية:

١- ماذا يعتقد طلاب الصفوف الثاني والرابع والسادس أنها صفات مهمة للمعلم الفاعل ؟

٢- هل تختلف معتقدات الطلاب بحسب الجنس والعرق؟

القرار الخامس: تحديد أساليب جمع المعلومات

بعد ذلك يختار الباحث أساليب جمع المعلومات. ويجب على الباحث أن يبرر اختيار أساليب جمع المعلومات ويبين كيف أن هذا الاختيار نابع مباشرة وبشكل غير متعسف من التصور الذي ينطلق منه البحث ويتناسب مع أسئلة البحث ويراعي السياق والمشاركين. ويجب أن يشتمل فصل التصميم على وصف دقيق ومفصل قدر الإمكان لأساليب جمع المعلومات وما المعلومات التي ستجمع، وإن كان هذا الوصف مبدئيا، بمعنى أنه قد يتغير إذا بدأت الدراسة فعليا. كما يجب أن يبين كيف أن تنوع أساليب جمع البيانات سيقود إلى إظهار مصداقية البحث.

ويشير هاتش (Hatch, 2002) إلى أنه من خلال خبرته في مراجعة البحوث فقد لاحظ أن كثيرا منها يقوم على معلومات قليلة. وقد يعود هذا لعدم مناسبة أساليب جمع المعلومات، أو لعدم كفاية المشاركين. وقد يكون السبب تعوّد الباحث على المنهج

الكمي الذي يكتفي - بناء على أداة البحث وعينته - بأقل قدر مناسب من البيانات. ولذلك فعلى الباحث أن يتأكد أن أساليبه ستوفر له المعلومات الكافية كما وكيفا، فالعمق وبناء المعنى المرتبطان بالبحث النوعي يحتمان وجود معلومات مفصلة وكافية عن موضوع الدراسة. وكلما زادت وتنوعت أساليب جمع المعلومات كان ذلك أقوى للبحث وساعد على تعميقه وزيادة مصداقيته. وهذا ما يسمى "بالتعددية" Triangulation، حيث يستخدم الباحث أكثر من أسلوب في جمع المعلومات لضمان توفر معلومات شاملة وكافية للبحث. فالبيانات النوعية تنشأ وتنبثق من السياقات الاجتماعية، وكثير من الجهد المبذول في البحث الكيفي يتمثل في دخول الباحث في السياقات البحثية التي تأتي منها بيانات بدرجة كافية (هوليداي، ٢٠٠٨).

القرار السادس: تحديد عملية التحليل

من المهم جدا توضيح كيف ستتم عملية تحليل البيانات في البحث، فهذا الأمر لابد أن يكون واضحا لمولي البحث، في حال البحوث المدعومة، وللجنة العلمية في حال الدراسة العليا، وللباحثين والدارسين، فهم بحاجة إلى معرفة الطريقة التي من خلالها سيتوصل الباحث إلى نتائج من البيانات التي يجمعها.

ولا يكفي أن يقول الباحث إنه سيحلل بياناته بشكل نوعي أو بشكل استقرائي. فكل ما تعنيه هذه العبارة أن التحليل لن يكون بالدرجة الأساس كميا أو معتمدا على الإحصاءات، فلا بد من تحديد ماذا سيعمل الباحث بالبيانات التي يجمعها حتى يتوصل إلى نتائج مقبولة.

وحيث إنه لا توجد نماذج معتمدة ومتفق عليها في التحليل كما الحال في التحليل الكمي حيث يكفي أن يقول الباحث سأستخدم اختبار تحليل التباين أحادي الاتجاه، أو غيره من أساليب التحليل الثابتة والمعروفة والمتفق عليها، بل قد يستطيع

القارئ للبحث الكمي أن يتوقع أسلوب التحليل من خلال معرفة سؤال البحث ومتغيراته. أما في البحث النوعي فلا بد من وصف ما سيقوم به الباحث في عملية التحليل، وبيان متى سيتم التحليل، هل سيبدأ مع بداية جمع المعلومات، أم سيؤخره الباحث إلى أن تنتهي عملية الجمع، وهل سيعيد قراءة المعلومات ويعيد التحليل. وقد يكتفي في بداية البحث بوصف مختصر مجمل لكن في كتابة تقرير البحث لا بد أن يفصّل في ذلك.

ومن الأخطاء في هذه المرحلة أن يقتصر الباحث عند بيان طريقة التحليل على قوله (سأستخدم البرنامج الحاسوبي "ماكس كيودي أي " MAXqda لتحليل البيانات النوعية). فبرنامج ماكس كيودي أي أو برنامج إنفيفو أو غيرهما من برامج التحليل النوعي في الواقع لا تحلل البيانات، بل هي تساعد الباحث على تنظيم بياناته وتصنيفها وترميزها وسرعة استرجاع ما يريده منها. لكن التحليل عمل عقلي نقدي إبداعي في ذات الوقت، يجب أن يقوم به الباحث نفسه، فاستخدام البرنامج الحاسوبي لايعني أي شيء للتحليل. بل البرنامج يساعد فقط على إدارة البيانات مما يوفر الوقت للباحث ليصرفه في التحليل.

ويشير سلفرمان (Silverman, 2005) إلى ضرورة أن يضع الباحث في اعتباره أنه سيواجه صعوبات في بحثه خاصة فيما يتعلق بتحقيق المصداقية، وتحديدا إذا كان في جامعة السائد فيها هو البحث الكمي، وليتوقع أن يتعرض مقترح بحثه إلى نقد كثير. فمن المهم في هذه المرحلة أن يبرز الباحث الأساليب التي سلكها لضمان قدر معقول من الموثوقية (سبق الحديث عنها في الفصل الثالث).

ومن المهم للباحث النوعي في هذه المرحلة أن يبين أن رغبته الشخصية لا تؤثر على تحليله، ولا تمثل تحيزا مؤثرا في الدراسة (Marshall & Rossman, 1999).

هذه هي الخطوات الأساسية في تصميم البحث النوعي، أو القرارات التي لابد أن يتخذها الباحث قبل أن يبدأ بحثه، ليكون جاهزا لكتابة مقترح البحث أو خطته. وبعبارة أخرى هذه القرارات يجب أن تصاغ في وثيقة تسمى (مقترح البحث) أو (خطة البحث).

مقترح البحث

يحتاج الباحث عادة قبل أن يبدأ في بحثه، سواء بحث درجة علمية (ماجستير أو دكتوراه) أو بحثا مدعوما ماليًا، لأن يقدم مقترحا أو خطة للبحث proposal، يبين فيه عددا من الأمور التي تمكن من سيقرّ هذا البحث من اتخاذ قرار مناسب بشأنه. وهذا المخطط أو المقترح مثل العقد بين الباحث والجامعة أو المؤسسة الداعمة. وحيث إن التوجه النوعي في البحث لا زال حديثا نسبيا خاصة في الجامعات العربية، فإن الباحث يجب أن يحرص على أن تكون خطة بحثه واضحة وشاملة لكل ما من شأنه إزالة أي غموض حول خطوات البحث.

خطة البحث

يعرّف مارشال وروسمان (Marshall & Rossman, 1999) خطة البحث أو مقترح البحث بأنه عبارة عن خطة مكتوبة للانخراط في عملية استكشاف منظمة لإيجاد فهم أفضل لظاهرة ما وتغيير ظروف اجتماعية مشكلة بشكل (تدريجي) ومتنامٍ. ويمثل مقترح البحث توثيقا لقرارات اتخذها الباحث بأن إطارا تصوريا محددا وتصميما وطريقة سوف توجد معلومات مناسبة للاستجابة لأسئلة البحث. وهذه القرارات جاءت من خلال عمليات الحدس والاستنتاج المكثفة ومن خلال تفحص عدد من أسئلة البحث والأطر التصورية وتصاميم بديلة وإستراتيجيات متعددة لجمع المعلومات. فمقترح البحث وثيقة تعرّف بالبحث وتحدد أهدافه وخطواته التي سيقوم بها الباحث لإنجاز بحثه بطريقة مهنية.

يحتوى مقترح (خطة) البحث النوعي عادة على قسمين أساسين:

الأول: إطار تصوري (ماذا؟)

الثاني: تصميم وطريقة البحث (كيف؟) (Marshal and Rossman,)

أقسام خطة البحث

يؤكد هوليداي (هوليداي، ٢٠٠٨) على أنه لا شيء يتم عمله في البحث النوعي لمجرد أنه متعارف عليه، بل على الباحث أن يوضح مناسبة ما يعمله لبحثه وموضوعه. تختلف مقترحات البحث في البحث النوعي، إلا أنها عادة تتفق على استعمال الأقسام الثلاثة التالية (Marshall & Rossman, 1999):

١- المقدمة، والتي تحتوي على نظرة عامة للمقترح، ومناقشة للموضوع أو نقطة تركيز البحث والسؤال العام للبحث،كما تشمل هدف الدراسة وأهميتها وجوانب القصور أو محددات الدراسة limitations.

٢- مناقشة الأدبيات ذات العلاقة (الدراسات السابقة) بشكل مختصر، والتي تهدف إلى وضع البحث في الخطاب السائد عن الموضوع وبناء توجيهات عقلية محددة ترتبط بها الدراسة.

٣- توضيح تصميم البحث وطرائقه، والتي يتم فيها تفصيل التصميم العام، والموقع ومجتمع الدراسة وطرق جمع المعلومات، وكيف سيتم التأكد من موثوقية الدراسة وسيرة الباحث الشخصية والجوانب الأخلاقية والسياسية التي يمكن أن تظهر أثناء البحث.

وعادة تكون هذه الأقسام مترابطة ويقوم كل منها على الآخر، وفي البحث النوعي يجب أن يعطي المقترح نوعا من المرونة في أسئلة البحث وتصميمه؛ لأن من المحتمل أنها ستتغير أثناء عملية البحث. سيقدم القسم التالي بعض الإستراتيجيات لبناء إطار تصوري واضح مع الحفاظ على المرونة التي تسمح لغير المتوقع أن يظهر.

ويرى ماكسويل (Maxwell, 2005) عن (Creswell, 2009, p. 73) أن مقترح البحث يجب أن يجيب على تسعة أسئلة :

١- ماذا يحتاج القراء ليفهموا الموضوع بشكل أفضل؟
٢- ما الذي لا يعرفه القراء فيما يتعلق بموضوع البحث؟
٣- ماذا تقترح أن تدرس؟
٤- ما وصف مجتمع الدراسة ومن هم الناس الذين ستدرسهم؟
٥- ما الطرق التي ستستخدمها لتوفير البيانات؟
٦- كيف ستحلل البيانات؟
٧- كيف ستتحقق من النتائج؟
٨- ما الجوانب المتعلقة بأخلاقيات البحث التي ستقدمها دراستك؟
٩- ماذا تُظهر النتائج الأولية عن إمكانية البحث المقترح وقيمته؟

ويرى كريسويل (Creswell, 2009) أن الإجابة على كل سؤال من هذه الأسئلة في قسم مستقل كافية لبناء مقترح بحث.

بناء الإطار التصوري

يبدأ الإطار التصوري للبحث بالمقدمة التي تشمل عادة الحديث عن موضوع البحث وهدفه وأهميته.

الموضوع والهدف والأهمية

ويهدف هذا القسم من المقترح إلى:

أ) وصف موضوع البحث وهدفه.
ب) وضعه أو تأطيره في مجالات نظرية واجتماعية عملية أوسع وبيان أهميته.
ج) طرح أسئلة البحث الأساسية.
د) تصور للأدبيات التي ستراجع في مراجعة الدراسات.
هـ) مناقشة جوانب القصور في الدراسة (أو محددات الدراسة).

ويجب أن يرتب الباحث المعلومات بحيث يتبين للقارئ روح البحث وموضوعه. ويكّون هذا القسم مع قسم مراجعة الأدبيات (الدراسات السابقة) الإطار التصوري للدراسة ويعطي القرّاء تركيزها الأساسي، بينما يصف قسم التصميم كيف سيتم البحث ويبين قدرة الباحث على القيام بالدراسة.

أقسام مقترح البحث النوعي

مقترح البحث كما أورده مارشال وروسمان

مقدمة

نظرة عامة

الموضوع والهدف

الأهمية (المغزى المحتمل)

الإطار وأسئلة البحث العامة

حدود الدراسة

مراجعة الأدبيات ذات العلاقة

الإطار النظري tradition

مقالات الخبراء

البحوث ذات العلاقة

التصميم والطريقة

التوجه العام والمبررات

اختيار الموقع أو مجتمع الدراسة

طرق جمع المعلومات

طرق تحليل المعلومات

الموثوقية

السيرة الشخصية للباحث

الاعتبارات الأخلاقية والسياسية

الملاحق

المصدر: Marshall and Rossman, 1999, p. 24

تنظيم مخطط (مقترح) البحث النوعي كما أورده سلفرمان

١- العنوان

٢- الملخص

٣- خلفية أو مقدمة (مثال الجدل الدائر في العلوم الاجتماعية)

٤- الهدف من الدراسة: أو سؤال الدراسة (المشكلة العلمية التي أسعى لحلها من خلال هذا البحث هي ...)

٥- مراجعة الأدبيات (إظهار أهمية البحث في سياق ما سبقه من أبحاث)

٦- الإجراءات (الطريقة) وصف الحالات المختارة، وأساليب جمع المعلومات وتحليلها، وبيان مناسبتها للتوجه المنهجي الذي يتبناه الباحث، وكيف ستراعي الصدق والثبات.

٧- مراعاة أخلاقيات البحث

٨- كيف ستقدم النتائج

٩- جدول زمني للبحث

١٠- المراجع

المصدر: Silverman, 2005, p. 140

ويسوق ماكسويل نموذجا لمقترح البحث النوعي في التوجه البنائي التفسيري Constructivist/interpretivist ، كالتالي:

أقسام مقترح البحث كما أوردها ماكسويل

المقدمة

صياغة المشكلة (بما في ذلك عرض الأدبيات الموجودة المتعلقة بالمشكلة، وأهمية الدراسة)

هدف الدراسة، وحدودها

أسئلة الدراسة

الإجراءات

الفرضيات النظرية للبحث النوعي

إستراتيجية البحث النوعي المستخدمة

دور الباحث

أساليب جمع المعلومات

أساليب التحقق من النتائج

الهيكل السردي narrative structure المقترح للدراسة

جوانب أخلاقيات البحث المتوقعة

نتائج البحث الاستطلاعي الأولي (إن وجد)

النتائج المتوقع

الملحقات: أسئلة المقابلات، ونماذج الملاحظة، و الجدول الزمني لعملية البحث، والميزانية المقترحة.

وبسبب ترابط أقسام المقترح ولأن الكتابة تطورية تراكمية ومهمة متكررة فإن الباحث قد يجد نفسه مضطرا لأن يعيد كتابة أسئلة البحث أو صياغة المشكلة بعد مراجعة الأدبيات أو بعد صياغة أهمية الدراسة أو بعد بناء التصميم. ولذا فمن المهم للباحث، كما يشير مارشال ورسمان (1999)، أن لا يتسرع في السير في بحثه بل يراعي

الحاجة للتغيير والمرونة في بناء البحث. فقد تأتي فكرة صائبة أثناء البحث في لحظة عابرة، لكن العمل الشاق يتلو ذلك بينما تتطور الفكرة ويتطور السياق العقلي (الفكري) الذي يحيط بها، وتتطور طرائق استكشافها وتتشكل. وفيما يلي شرح لمحتويات المقترح كما يراه مارشال وروسمان.

النظرة العامة

يقدم القسم الأول من المقترح للقارئ نظرة عامة للدراسة، فتقدم باختصار الموضوع أو المشكلة وهدف الدراسة وسؤال البحث العام بالإضافة إلى تصميم الدراسة. وهذا القسم يجب أن يكتب بشكل واضح وجذاب للقارئ وينبئ عن الأقسام القادمة. فأولا يتم تقديم الموضوع أو المشكلة التي سيدرسها البحث، مع ربط ذلك بالممارسة والقضايا الاجتماعية والنظرية، وعرض أهمية الدراسة. وبعد ذلك يتم طرح الخطوط العريضة للنظرية والأدبيات المرتبطة بالدراسة التي ستستعرض في قسم مراجعة الأدبيات. ثم يشار بشكل عام إلى تصميم الدراسة. وفي الختام تعطي المقدمة انتقالا لنقاش مفصل للموضوع وأهمية الدراسة وأسئلة البحث.

الموضوع

في البحث النوعي تأتي الرغبة الأساسية في الاستكشاف غالبا من ملاحظة واقعية أو ناتجة عن تفاعل بين خبرة الباحث المباشرة والنظريات غير الظاهرة أو المضمنة tacit والالتزام السياسي والرغبات في الممارسة ورغبات الباحث المتنامية. فيبين الباحث موضوع بحثه، ويوصف الظاهرة التي يريد دراستها.

ويسوق موريس (Mores, 1991) عن كريسويل (Creswell, 2009) الخصائص التالية للموضوعات التي تناسب البحث النوعي:

١- عدم نضوج المفهوم المرتبط بالظاهرة أو تطوره بشكل كامل بسبب نقص النظرية والدراسات السابقة.

٢- إحساس بأن النظرية الموجودة غير دقيقة أو غير مناسبة أو غير صحيحة أو متحيزة.

٣- الحاجة لاستكشاف الظاهرة ووصفها وبناء نظرية لها.

٤- عدم مناسبة طبيعة الظاهرة للقياس الكمي.

الهدف من الدراسة

من الضروري أن يبين الباحث في مقدمته الهدف من دراسته، وغالبا ما يكون ذلك من خلال جملتين أو ثلاث، في أثناء حديثه عن موضوع الدراسة، يقدم من خلالها للقاري ما يريد أن يحققه بنهاية الدراسة. وتاريخيا فقد هدف البحث النوعي إلى ثلاثة أهداف رئيسة (Marshall & Rossman, 1999):

١- الاستكشاف.

٢- التوضيح.

٣- الوصف ويعبر عنه أحيانا بالفهم.

فكثير من البحوث يكون الهدف منها الوصف بحيث تقدم وصفا دقيقا وثريا لأوضاع معقدة لم توصف أو تستكشف من قبل. وقد يكون الهدف توضيحيا تفسيريا، بحيث توضح الدراسة العلاقات بين الأحداث (خاصة من وجهة نظر عينة الدراسة/ المشاركين) والمعاني التي تحملها تلك العلاقات.

أسئلة الدراسة

أسئلة الدراسة هي الأسئلة التي يجيب عليها الباحث لكي يوضح أو يفسر أو يفهم مشكلة الدراسة (Creswell,2009). بحسب مارشال وروسمان (1999) فإن المنحى النوعي في البحث قادر على كشف أشياء غير متوقعة واستكشاف احتمالات جديدة. وهذا يتطلب مرونة في مقترح البحث لتستجيب عملية جمع المعلومات مع أسئلة البحث التي تتحدد بشكل متنام. وهنا تكمن مشكلة، فمقترح البحث يجب أن يعطي

صورة واضحة عن أسئلة البحث وتصميمه، ليتمكن القارئ من الحكم على قدرة الباحث على القيام ببحثه، ومن جهة أخرى يجب أن يحقق المرونة التي هي علامة مميزة للبحث النوعي. مما يعني أن أسئلة البحث يجب أن تكون واسعة بما فيه الكفاية لتحقيق الاستكشاف، وفي نفس الوقت مركزة لتحديد البحث. وهذا مطلب ليس باليسير.

فتركيز البحث وطرح سؤال بحث عام من الأفضل التعامل معه بشكل تطوري تدريجي اعتمادا على مناقشة الأدبيات، ويجب أن ترتبط الأسئلة (المبدئية) بمشكلة الدراسة وأهميتها، وتحدد الأدبيات التي يجب مراجعتها[1].

نموذج من رسالة دكتوراه تتبع منهج النظرية المؤسسة :

Grounded Theory of High Quality Leadership Programs: Perspectives from Students Leadership Development Programs in Higher Education. Doctoral Dissertation. Darin Eich. (2007). Wisconsin-Madison University.

مشكلة الدراسة

اعتمادا على خبرات ورؤى عدد من ذوي العلاقة المرتبطين بشكل قريب بأنماط متعددة من برامج قيادة الطلاب في مؤسسات تربوية مختلفة، فإن الهدف من هذه الدراسة هو تحديد صفات برامج القيادة ـ والأفعال المرتبطة بتلك الصفات ـ التي تسهم بشكل كبير في تنمية وتعلم طلاب الجامعة للقيادة. وسوف تحدد الدراسة لكل صفة فعلا واحدا فقط يمثلها، لكن كيف يسهم في تعلم الطلاب ونموهم. وسؤال الدراسة الذي يوجه البحث هو: ما صفات برامج القيادة ـ وما الأفعال المحددة المرتبطة بتلك الصفات ـ التي تسهم بشكل كبير في نمو طلاب الجامعة وتعلمهم للقيادة؟

---

(١) انظر نماذج من الأسئلة مناسبة للبحث النوعي Counselor . . . Conducting Qualitative Research، وانظر نماذج من الأسئلة المتعلقة بالمنهج المدرسي والاستراتيجيات المناسبة لبحثها في (McNeil, 2006, p. 335).

وفي قسم (المنهجية) يقول الباحث:

> ترتكز هذه الدراسة التي تنهج منهج النظرية المؤسسة ذات الحالات المتعددة على خبرات ورؤى المقابَلين ... الذين شاركوا في أنواع مختلفة من برامج تربوية للقيادة... وقد استخدمت دراسة الحالة في هذه الدراسة؛ لأنه وجد أنها مفيدة بشكل كبير في دراسة التجارب التربوية وتقويم البرامج في إطار النظرية المؤسسة (Merriam, 2001). ...

ويسوق ماكنيل (McNeil, 2006) عددا من الأسئلة المتعلقة بالمنهج المدرسي وما يناسبها من أنواع البحث.

جوانب القصور في الدراسة

ليس هناك بحث خال من جوانب القصور، وهي عادة النقاط التي فيها خلل أو ضعف سواء في إجراءات البحث أو في مجتمع دراسته أو في الإطار النظري، أو في التصميم ولا يستطيع الباحث أن يتلافاها، إما لأمر يتعلق بمجتمع الدراسة ووضعها، وإما لأن الدراسة انتهت ولا سبيل لإعادتها. وقد يسميها بعض الباحثين (محددات الدراسة). وبيان جوانب القصور يفيد في التوضيح للقارئ ما هي الأشياء التي لن يجدها في الدراسة أو التي لن يستفيدها من الدراسة، أو الأشياء التي يجب أن يتنبه لها عند قراءته للنتائج. مراجعة الأدبيات.

بالرغم من انفصال هذين القسمين (المقدمة ومراجعة الأدبيات)، إلا أن سياقها يجب أن ينبع من إحاطة تامة بأدبيات المجال ونظرياته وبحوثه من باحث خبير؛ فالقراءة المتأنية لأدبيات البحث تخدم هدفين:

الأول: تقدم دليلا على أهمية الدراسة للممارسة وللنظرية، وتوضح كيف أنها تعد إسهاما في إغناء الخطاب الدائر حول الموضوع (ويسمى هذا بالإسهام في المعرفة).

الثاني: تحدد التوجه العقلي النظري العام الذي يوجه الدراسة (أو النظرية المنهجية). وبذلك يتم بناء إطار تصوري وصياغة سؤال بحث مهم وقوي.

يرى ما رشال وروسمان (1999) أن المناقشة الواعية والعميقة للأدبيات ذات العلاقة تبني إطارا منطقيا للبحث يوجد له مكانا ضمن سياق البحث العام. وتؤدي مراجعة الأدبيات أربعة أدوار أساسية:

١- تبين الفرضيات الأساسية القائمة خلف سؤال البحث الأساس.

٢- تبين إلمام الباحث بالموضوع المتعلق بالبحث وبالمساق العقلي له.

٣- تبين أن الباحث قد وجد بعض الفجوات في الأدبيات يسعى لملئها.

٤- تساعد في تدقيق أسئلة البحث وإعادة تحديدها.

ويرى كريسويل (Creswell, 2009) أن مراجعة الأدبيات تفيد من عدة جوانب، هي:

١- تقدم للقارئ نتائج الدراسات الأخرى المرتبطة بالبحث.

٢- تربط الدراسة الحالية بالصورة الكبرى للحوار في مجال الدراسة وتتبع الفجوات في الدراسات السابقة.

٣- توجد أساسا لبناء أهمية الدراسة، بالإضافة إلى مقارنة نتائجها بالنتائج السابقة.

فمراجعة الأدبيات السابقة ليست فقط رصدا لنتائج الدراسات، إنما تبني الإطار النظري للبحث وتبين منطلقات الباحث النظرية، كما أنها تقود القارئ إلى رؤية الثغرة التي يسعى البحث لسدها في المعرفة في المجال العلمي للبحث.

ثمة سقطة يجب تجنبها في الجزء الخاص بالأدبيات ذات الصلة، ألا وهو عرض سلسلة من الخلاصات واحدة في كل فقرة، فهذا يقدم للجمهور قراءة مملة ويفقد

فرصة وضع أساس ذي معنى ومتماسك للدراسة، فمن الأفضل التنظيم حسب الموضوع والإشارة إلى الكيفية التي ترتبط بها الدراسات بالأسئلة (أري، جيكوبس، ورضوي، ٢٠٠٤).

وتختلف طرق استخدام الأدبيات السابقة في البحث النوعي، فعادة في الدراسات التي توجهها النظرية مثل الإثنوجرافي تقدم النظرية حول المفاهيم الثقافية في أول البحث المنشور أو في أول خطة الرسالة، على أنها نظرية موجِّهة، بينما في النظرية المؤسسة ودراسة الحالة والبحث الظاهري يقل استخدام الأدبيات للتمهيد للدراسة (Creswell, 2009, p. 26)، ويرجع لها في آخر الدراسة وعند مناقشة النتائج أو بناء النظرية.لكن بشكل عام يستخدم الباحث مراجعة الأدبيات في ثلاثة مواضع (Meriam, 2009):

الأول: في مقدمة بحثه عند بناء المشكلة، وعادة ما يكون عرض الأدبيات هنا انتقائيا ومختصرا، فقط لبيان المشكلة وأهميتها.

الثاني: في فصل (مراجعة الأدبيات) أو (البحوث السابقة) في الرسائل العلمية.

الثالث: عند مناقشة نتائج البحث، حيث يقارن الباحث بين نتائج بحثه والبحوث الأخرى.

أهمية الدراسة

لبيان أهمية الدراسة يجب أن يسوق الباحث أدلة على ارتباط البحث بمنظور نظري قائم وقضايا سياسية واهتمامات عملية أو أمور اجتماعية ملحة تؤثر في حياة الناس اليومية. ويجب النظر إلى أهمية الدراسة من خلال بيان إسهامات الدراسة، وما الذي ستقدمه سواء على المستوى النظري أو العملي، كما يجب بيان من سيهتم بنتائج الدراسة ومن ستمس ومن سيتأثر بها.

الإجراءات

يجب أن يبين الباحث في المقترح (أو خطة البحث) الإجراءات التي سوف يسلكها. ومن الطبيعي أنه لن يدخل في التفصيلات، للطبيعة المرنة التي يتميز بها البحث النوعي. وهنا قد يواجه الباحث مشكلة نتيجة للقلق الذي ينتاب عادة الأكاديميين أو محكمي البحوث من عدم وضوح الإجراءات.

اختيار الموقع

بعد أن يكون الباحث قد قرر اختيار موقع معين لبحثه، يتوقع من الباحث أيضا أن يصف الموقع الذي سيجري فيه بحثه بشكل مفصل، ولِمَ اختاره.

طرق جمع المعلومات

أيضا على الباحث أن يبين طرق جمع المعلومات، وكيف أن هذه الطرق تحقق الهدف من بحثه، ويجب عليه أن يبين مناسبة هذه الطريقة أو الطرق لسؤال البحث وطبيعة الموقع وطبيعة المعلومات.

طرق تحليل المعلومات

كما أن على الباحث أيضا أن يبين الطريقة التي سيسلكها في تحليل البيانات، ونوعية النتائج المتوقعة من هذا التحليل، التي سيخرج بها في نهاية البحث.

الموثوقية

من الأمور المهمة في مقترح البحث أن يبين الباحث السبل التي سيسلكها للرفع من موثوقية البحث. وحيث إن البحث النوعي ينظر إليه على أنه يفتقد للموثوقية نظرا لابتعاده عن صرامة الأرقام والتصميمات الإحصائية واعتماده على ذاتية الباحث، فإن من المهم التفصيل في هذا الجانب بحيث يتوسع الباحث في بيان كيف سيحقق أكبر قدر من الموثوقية في كل مراحل بحثه (انظر الفصل الثالث).

السيرة الشخصية للباحث

من المفيد أن يتضمن المقترح سيرة شخصية للباحث، وذلك لغرضين. الأول، بيان أن لدى الباحث القدرة والتأهيل للقيام بالبحث. الثاني، بيان الموقف الذي ينطلق منه الباحث بحيث يؤخذ في الاعتبار عند تلقي نتائج البحث.

إن نجاح الباحث في التعامل مع هذه المرحلة من البحث يعني أنه قد تجاوز منعطفا مهما في رحلة البحث، وهي من أكثر المراحل تعقيدا وغموضا أيضا، خاصة للباحث المبتدئ، فبعد ذلك يبدأ الباحث في الانطلاق بشكل أكثر سهولة.

وبعد أن يذكر أن من الأخطاء التي يقع فيها الباحث المبتدئ أنه يناقش دراسته المقترحة بدلا من أن يتحدث عنها، يوصي كريسويل (Creswell, 2009) الباحثَ بالأمور التالية حول صياغة المقترح، أسوقها مع بعض الإضافات:

- حدِّد أقسام المقترح في بداية تخطيط المقترح، فالعمل في كل قسم يثير الأفكار للأقسام الأخرى. بعد وضع المخطط قم بكتابة ما يرد للذهن من أفكار في كل قسم بشكل سريع، ثم قم بتطويرها وتهذيبها، ولا تنتظر اكتمال فكرة كل قسم.
- اطلع على مقترحات سبق وكتبها بعض الباحثين من الطلاب وغيرهم خاصة ما كان بإشراف المشرف على رسالتك. اطلع عليها لكن لا تتقيد حرفيا بها، وأعط مجالا لإبداعك وشخصيتك أن تظهر في المقترح.
- ابحث عن مقررات أو ورش عمل في مجال بناء مقترحات البحث، واستفد منها.
- اجتمع مع المشرف على رسالتك واستوضح منه عن صيغة المقترح الذي يفضله، فقد يختلف تنظيم البحوث التي تنشر في المجلات العلمية عن مقترحات البحوث فيما يخص الرسائل العلمية.

ملخص الفصل

تعرض هذا الفصل لموضوعين أساسين: تصميم البحث، ومقترح البحث؛ حيث بين الفصل كيف يمكن للباحث كتابة خطة واضحة لما ينوي القيام به، وكيف يمكنه تقديم مقترح بحثي واضح ومنظم.

وسوف يتعرض الفصل التالي بتفصيل إلى الجزء العملي الأول من البحث وهو أساليب جمع المعلومات.